جاسوسات عاشقات

خلدهن الحب وحقرهن التاريخ

كلير جوردون
إيلين وندسور

مكتبة الجاسوسية



فريد الفالوجي



جاسوسات عاشقات

هذه السلسلة

- محاولة دائبة لسبر أغوار النفوس المريضة التى تهوى بأصحابها إلى مستنقعات الخيانة.
- تحليلات مستفيضة لكل الأحداث والمواقف ، تكشف الغموض وتظهر النوايا الخفية فى كل تصرف للشخصية المعنية.
- استقصاء شامل لجميع المستندات والملفات للوصول إلى كبد الحقيقة، بعيداً عن الاجتهادات والتأويلات والافتراضات غير المثبتة بالدليل القاطع.
- عمل جاد وجهد شاق لفضح هذه الفئة الضالة من النساء التى أغواها الشيطان، وبعن وطنهن وغدرن بأهلهن..فحل عليهن العقاب الشديد، والتصق بهن العار إلى الأبد.

كلير جوردون: سيدة إنجليزية كانت زوجة لمهندس بريطانى أثناء الاحتلال البريطانى لمصر.. أرادت المخابرات البريطانية تجنيدها لتتجسس لصالح بلادها ضد الفدائيين المصريين فى القناة، فوقعت فى غرام ضابط مصرى، استغل هذا الحب فى مصلحة بلاده، فانقلبت كلير جاسوسة لمصر، ولما أحست المخابرات الإنجليزية بذلك، أعادوها إلى لندن واختفت أخبارها تماماً، ولم يعرف أحد أى شىء عنها حتى الآن.

إيلين وندسور: امرأة روسية عشقت الإجرام، واستحبت منظر الدماء، فصارت من أهم أعضاء فرقة الاغتيالات والقتل الروسية، سافرت إلى كندا لكى تنفذ المخططات الروسية ، فألقت بشباكها حول مجموعة من الشباب الكندى لتتصل من خلالهم إلى مآربها المسمومة فى القضاء على عدد ضخم من المعادين لروسيا، وجندت عدداً من الجواسيس لصالح بلادها، ولكنها أحبت ضابط شرطة كندياً، وطلبت الزواج منه، ولما علم رجال حكومتها بذلك، أخفوها إلى الأبد، دون أن يظهر عنها أى خبر.

الناشر



ISBN 977-399-042-7
6 224000 170042

مكتبة الجاسوسية

جاسوسات عاشقات
خلدهن الحب وحقرهن التاريخ

كلير جوردون
إيلين وندسور

فريد الفالوجي



رئيس مجلس الإدارة

عادل المصرى

عضو مجلس الإدارة المنتدب

حسام حسين

مستشار النشر

أحمد جمال الدين

رقم الإيداع

١٨١١٩ / ٢٠٠٥

الترقيم الدولى

٩٧٧ - ٣٩٩ - ٠٤٢-٧

الطبعة الأولى

الجمع والإخراج الفنى
«مكتبة ابن سينا»
ت : ٦٣٧٩٨٦٣ ف : ٦٣٨٠٤٨٣

مطابع العبور الحديثة

الكتاب : جاسوسات عاشقات

المؤلف : فريد الفالوجى

الغلاف : للفنان إلهامى عزت

الناشر : أطلس للنشر والإنتاج الإعلامى ش. م. م
٢٥ ش وادى النيل - المهندسين - القاهرة
E-mail:atlas@innovations-co.com

تليفون : ٣٠٢٧٩٦٥ - ٣٠٣٩٥٣٩ - ٣٤٦٥٨٥٠

فاكس : ٣٠٢٨٣٢٨

* * * *

المقدمة

إن المرأة عندما تحب بصدق.. وبكل ما لديها من عاطفة جياشة رائعة.. تمنح الحبيب دفقات متتالية من نهر الحب العظيم.. تحيل حياته إلى جنات من الصفو اللذيذ.

ويسوق لنا التاريخ حكايات عن نساء بعن الوطن من أجل الحب.. ولم يندمن وهن ينزوين بين جدران الذبول والنسيان.. أو حتى وهن معصوبات الأعين ومكبلات فى طريقهن إلى الموت فى غُرف الإعدام.

فالمرأة عندما تكتشف فجأة، أن حبيبها ما هو إلا جاسوس محترف، خدعها فى مشاعرها طوال سنوات من الحب المغشوش، ترتج حياتها كلها فى لحظة تسحب من جذور مشاعرها.. لتصل بها إلى صراع مجنون قد يدمرها تماماً.. ويكون رد فعلها عندئذ أكثر جنوناً ودهشة.

إنه صراع فتاك ليس من السهل أن تتحمله امرأة أحبت، وأعطت كل ما لديها لحبيب خائن غدار.. صراع يدفع بها إلى منعطفات حادة مهلكة أحياناً.. فهى إما أن تغمض عينيها وتمسك

أنفاسها لكى تختار الحبيب وحده.. أو تختار الوطن وبذلك تسلم حبيبها إلى الموت.

وقد ذكر لنا التاريخ أمثلة لا حصر لها، لنساء وطنيات فضلن الوطن فوق أى اعتبار.. وأسهمن بإخلاص فى المحافظة على أمنه وسلامته..

وهذه السلسلة من (جاسوسات عاشقات .. خلدهن الحب وحقرهن التاريخ) تتناول سيرة بعض الجاسوسات الخائنات اللائى انصرفن عن كل مُثل فى سبيل الحب والمتعة.. وقد نبذن الشرف والفضيلة والانتماء من حياتهن.

وفى قصتنا هذه .. سنندهش أمام حالة فتاة بريطانية جندتها مخابرات بلدها فى الإسماعيلية لتجند ضابط مصرى ليمدها بالأخبار فوقعت فى غرامه وسلمته أخبار بلدها ..!!

فريد الفالوجي

القاهرة ـ مدينة نصر

كلير جوردون



ربما تكون هى أشهر جاسوسة بريطانية نبض قلبها بالحب تجاه «الهدف» الذى سعت لتجنيده .. فسعت لذلك نفسها وعرضت على ضابط الاستخبارات المصرى أن تنفذ أوامره مقابل ألا يتخلى عنها .. ولما رفض عرضها اتخذت خطوة أخرى أكثر جنوناً .. وجرأة !!

السجن الكبير

هرباً من الأعمال الفدائية ضد القوات البريطانية فى مصر، انسحب الجيش البريطانى إلى منطقة السويس، حيث أمر الجنرال «بريان روبرتسون» قائد القوات فى الشرق الأوسط بعمل عدة أسوار وتحصينات تقى جنوده من الهجمات التى كانت لا تتوقف ضد قواته، لكن بلا فائدة.

وفى أكتوبر سنة ١٩٥١ اضطر إلى ترحيل الألوف من عائلات الضباط والجنود التى كانت تعيش فى شقق وفيلات أنيقة فى مدن القناة، وأعاد سحب الضباط والجنود إلى ما وراء الأسوار والأسلاك الشائكة داخل المعسكرات، حيث لم يجرؤ أحدهم أن يدخل مدينة واحدة من مدن الوجه البحرى، حتى بعدما كانت مدينتى القاهرة والأقصر مفتوحتين لهم يقضون فيهما أجازات نهاية الأسبوع.

انتهى هذا الأمر وأغلقت عليهم أبواب المعسكرات وفقدوا أى اتصال لهم بالعالم الخارجى من حولهم، ولم يعد لهم سوى قناة السويس يجلسون حولها فى ملل وسأم.

هكذا تصرف روبرتسون خوفاً من العمليات الفدائية الناجحة التى ألقت الرعب فى نفوس قواته التى يبلغ عددها حوالى ٨٠ ألفاً من الرجال، وسبعمائة امرأة.

كانت الأسوار الشاهقة يجرى العمل فى إقامتها بالليل والنهار حول مبنى القيادة فى فايد، حيث يقبع روبرتسون فى حجرة واسعة منه، تطل مباشرة على شريط المياه الزرقاء التى تجرى فى القناة .

وكان هاجس الخوف هو الذى جعل روبرتسون لا يكتفى بسور الأشجار العالية المتقاربة الذى كان يحيط بالقيادة من جميع الجهات ، ويكون فوقها مظلة تحميها من عيون الطائرات التى يمكن أن تحلق فوقها.

لذلك سارعت فرق المهندسين بإقامة ثلاثة أسوار يزيد ارتفاعها عن ثلاثة أمتار، فضلاً عن ثمانية خنادق حصينة محاطة بأكياس الرمل يقبع بها جنود يمتلكون المدافع الرشاشة وأجهزة اللاسلكى.

هكذا كان الخوف يسيطر على روبرتسون برغم أن مبنى القيادة كان يتمتع بحماية طبيعية.

فوراءه مباشرة قناة السويس، ومن حوله معسكرات فايد التى تمتد إلى مئات الكيلو مترات على شكل نصف دائـرة ، ويحمى هذه المعسكرات جبل شاهق مرتفع يحتضنها فى بطنه ويلتف حولها .

لكن كل ذلك لم يمنع العمليات الفدائية أو يحد منها.

وهكذا أيضاً ما دعى «مانداى» مدير الاستخبارات البريطانية فى القنال إلى العمل بجد وتواصل، من أجل حماية القوات البريطانية من ضربات مفاجئة موجعة من شباب الفدائيين، وأيضاً من أجل مراقبة الجنود والضباط، واجتماعاتهم للتعبير عن سخطهم العارم، وخوفهم من رجال المقاومة الذين يهاجمون كل يوم.

الرفـض الـمـصرى

وفى منطقة القنال، كان السكان من المصريين يعلمون جيدا أن «مانداى» يسعى بكل الحيل لإحباط هذه الهجمات ، وإلقاء القبض على الشبان من الفدائيين الذين اقضوا مضجع قواته، مما جعلهم يكتبون طلبات رسمية يسألون القواد فيها أن يفعلوا أى شئ ليخرجوهم من هذا السجن الكبير ، الذى وضعوا فيه خوفاً من رجال المقاومة الذين لا يهدأون.

كانت هناك أيضاً أسباباً أخرى تضيق الخناق على القوات البريطانية فى القنال، فإن الوحدة الخامسة المعسكرة على بعد ١٥ ميلاً من السويس[١] مثلاً، والتى تتكون من ٣٦٠ رجلاً، ليس فى متناول رجالها جميعاً إلا خمسة صنابير للمياه لاستخدامها فى جميع الأغراض ، ولا يستطيع واحد منهم أن يحصل على نقطة واحدة من المياه الساخنة.

وهى كغيرها من الوحدات تعيش على المأكولات المحفوظة . ذلك لأن نقط الجيش والبوليس المصرى، التى تتحكم فى جميع منافذ منطقة القنال، لا تسمح على الإطلاق بأن يدخل المعسكرات

---

(١) آخر ساعة ـ العدد ٩٥٩ ، الصادر فى ١١ مارس ١٩٥٣، ص ، ١٢ ، ١٣.

البريطانية مواد تموينية أكثر من التى تصرح بـها وزارة التمويـن بصفة رسمية.

وهى كغيرها من الوحدات أيضاً ـ برغم هـذا كلـه ـ تعـانى مـن نقص الأيدى العاملة المصرية بنسبة ٦٠ ٪ بسبب الحس الوطنى الذى كان يتعاظم يوماً بعد يوم.. والشعور العام بأن القوات البريطانية تعيش حالة ثورة وغليان مما يجعل قرار رحيلها إلى خارج مصر أمرا حتمياً.

ويوم نشرت الصحف المصرية أنباء افتتاح معسكرات التدريب لشباب الجامعات، كان النبأ موضوع حديث الجنود والضباط الجالسين فى ملل فى المعسكرات والكنائس والمكتبات.

وأمام هذا الوضع السئ عمد القواد الإنجليز إلى بذل محاولات جبارة للقضاء على روح التذمر التى تفشت بصورة واضحة وعلنية بين الضباط والجنود البريطانيين.

أحياناً ... بجعلهم يزاولون تدريبات ومناورات مستمرة ..

وأحياناً بجعلهم ينقلون المعدات العسكرية من معسكر إلى معسكر.

وأحياناً أخرى بجعلهم يسيرون فى طوابير تصحبها الموسيقات فى الصحراء.

لكن .. لم يتوقف الضباط والجنود عن الإلحاح بالخروج من وراء الأسوار الشائكة إلى المدن والملاهى والعالم الخارجى.

ولقد حاول البريطانيون بضغوط دبلوماسية شديدة، أن يجعلوا مصر توافق على سفر أفواج من الضباط والجنود فى ملابس مدنية إلى الأقصر وأسوان ... لكن مصر رفضت.

وحاولوا أن يجعلوا الحى «الأفرنجى» فى السويس منطقة مفتوحة يتجول فيها الجنود والضباط بملابس مدنية... ولكن مصر رفضت أيضاً.

هكذا أبقت بريطانيا قواتها فى مصر من أجل الحفاظ على ماء وجهها و «سمعتها» فقط برغم الدراسات الاستراتيجية التى تدعو إلى اتخاذ «قبرص» قاعدة بريطانية بدلاً من القنال، نظرا لوجود ثلاثة موانئ قبرصية: «ليماسون ـ فاما جوستا ـ لارنكا»، وقرب قبرص من شمال أفريقيا «حوالى ٣٠٠ ميلاً»، ووجود منطقة مسطحة بوسط الجزيرة مساحتها ٨٠٠ ميل مربع تعتبر واحدة من أهم المطارات الطبيعية فى العالم.

البحث عن امرأة

على كل ..

جاهد رئيس الاستخبارات البريطانية فى القنال، مانداى، قدر استطاعته للحد من الهجمات الفدائية على المعسكرات البريطانية، ساعيا لمعرفة مواقعهم، وتسليحهم، وتدريبهم، وأعدادهم، ومحاولة اختراق جهاز البوليس المصرى، الذى كان يقوم بدور استخباراتى، فى محاولة للحصول على التقارير اليومية التى كانت ترسل إلى القاهرة.

لكن ... كيف يمكن له اختراق الأمن المصرى ..؟

وما الوسيلة لذلك ..؟

وكيف..؟

استفهامات طويلة كان على مانداى أن يجد إجابات منطقية لها!!

وفكر أول ما فكر بالاستعانة بالمال لشراء أحد أفراد الأمن من المقربين إلى القيادة .. لكن بدت الفكرة مستحيلة التنفيذ فى ظل

الشعور الوطنى العارم، والكراهية المتناهية التى يكنها المصريون للإنجليز.

بقيت إذن مسألة الجنس، لاصطياد مصدر أمنى باستطاعته اختراق حاجز السرية، والوصول إلى التقرير اليومى الذى يرسل إلى الرئاسة بالقاهرة عن أحوال القوات البريطانية فى منطقة القناة، وكذا عن أوضاع البوليس المصرى ومشاكله واحتياجته، وما يستجد لديه من أحداث.

بدت فكرة استخدام امرأة جميلة لاصطياد رجل أمن مصرى، أمرا مقبولا شكلاً وموضوعاً عند ماندای، الذى رأى أن هذه الوسيلة قد تنجح إذا ما امتزجت بالمال أيضاً، بحيث يحصل الهدف الذى سيختاره على الجنس والمال معاً مقابل خدماته.

وكان يلزم رئيس الاستخبارات البريطانية امرأة حسناء فاتنة ذكية، تؤدى المهمة خدمة لوطنها وللتاج البريطانى.

وشرع من فوره فى البحث عن هذه المرأة التى يجب أن تتوافر فيها بعض الصفات إلى جانب الأنوثة والذكاء، منها الإلمام باللغة العربية، وأن تكون متزوجة.

وكان الشرط الأول يتصل بعمل أجهزة الاستخبارات .

أما الشرط الثانى، وهو أن تكون المرأة المطلوبة متزوجة، فذلك يرجع إلى معرفة الأمن المصرى بأن عدد البريطانيات قد تقلص إلى حوالى سبعمائة امرأة فى منطقة القنال، اغلبهن زوجات لضباط ولجنود ولموظفين كبار فى مشروع القناة.

وكان معنى خروج امرأة بريطانية متزوجة، يعرفها الأمن المصرى، للتسوق أو للنزهة، أمر لا غبار عليه ، و ذو شكل طبيعى لا يحتمل الشك.

عثر ماندای على المرأة المطلوبة بعد دراسة وافية عن شخصيتها وطبيعتها الإنسانية وميولها، واقتنع جدا بأنها ذات صفات خاصة ، وتعد الأصلح للقيام بالمهمة الخطيرة، خاصة وانها تعمل فى مكتبه كمحللة للأخبار والتقارير، إلى جانب أنها زوجة لمهندس بريطانى اسمه «روبرت جوردون» ، يعمل فى شركة قناة السويس.

إعجاب متبادل

كانت «كلير جوردون» فاتنة بحق، تعدت الرابعة والعشرين من عمرها بقليل، ذات جسد رشيق أملود مثير، وفم مبسام صغير دقيق، وعينان نجلاوان ناعستان، فى اخضرارهما همس الربيع وسحر النداء.

أطلعها مانداى على المهمة التى اختارها للقيام بها، وشرح لها كيفية التصرف مع النقيب «محسن» للوصول إلى الهدف المرجو فى أسرع وقت، موضحاً لها أساليب الإغواء التى يمكن بواسطتها استقطابه والسيطرة عليه، خاصة وأنه لم يتزوج بعد ويعيش فى إحدى الشقق بمفرده.

وعندما أطلعها على عدة صور تم التقاطها له وجرى تكبيرها، تأوهت كلير جوردون فى دهشة، معربة عن إعجابها بوسامته وشبابه القوى الواضح.

والنقيب «محسن» هذا كان أحد أفراد قوة البوليس المصرى فى الإسماعيلية، وكان منوطاً بالقيام بأعمال استخباراتية تتصل بمراقبة القوات البريطانية، فضلاً عن إطلاعه ومعرفته

بتحركات المقاومة الشعبية فى المدينة وما حولها.

ثم قالت لرئيسها :

ـ سيدى .. ثق بأننى سأفعل المستحيل لاستقطابه والسيطرة عليه فى أقرب وقت .

علق قائلا :

ـ لهذا اخترتك بالذات لهذه المهمة .. فأنت جميلة وذكية ، وتعرفين جيدا مدى احتياجنا إلى تجنيد ضابط بوليس مصرى ، لاختراق حواجز السرية عند جهاز أمنهم لمعرفة ماذا يخططون لنا .

وأضاف :

ـ إن النقيب محسن تتوافر فى شخصه كل الصفات التى تمكننا من ضمه إلينا ، وأمامك أنت لن يقدر على المقاومة .. بأية حال..!!

وبمعنى آخر كان يعد هدفاً ثميناً بالنسبة لماندای يجب بذل الجهد والمال لتجنيده.

أطلقت كلير جوردون فى أثر الضابط المصرى بعد اطلاعها على جدول مواعيده والأماكن التى يرتادها فى أوقات راحته. ولما

رأته أمامها وجهاً لوجه فى أحد المطاعم، صدرت عنها آهة تفيض دهشة وإعجاباً، فقد كان شاباً رياضياً طويلاً وسيماً، استهواها ببشرته السمراء وخطواته الواثقة الرشيقة.

بدأت العميلة البريطانية فى تنفيذ خطتها المرسومة، وذلك بافتعال رؤية النقيب محسن مصادفة فى أماكن مختلفة بالإسماعيلية للفت انتباهه.

وهذا ما توقعته كلير عندما لاحظت نظرات الضابط المصرى وهى تتبعها بإعجاب وتتأمل جسدها الطاغى الأنوثة ، وجمال ابتسامتها التى لا تكاد تفارق محياها.

بدأت العميلة الفاتنة فى إشعار الضابط بإعجابها الظاهر به، من خلال حركات ذكية فطن لها النقيب محسن الذى بادر على الفور بالاقتراب منها وتحيتها بلطف.

هى أيضاً تلطفت معه وأظهرت دلالاً قربها من الشاب الوسيم، ثم سرعان ما انصرفت إلى حال سبيلها دون حديث، وتركته فى حالة إعجاب ودهشة لأنه كان قاب قوسين أو أدنى من هذه الغادة الحسناء الرقيقة التى كان لا يعرف عنها شيئاً سوى أنها بريطانية فقط .

بعدها بأيام قليلة بدأت المصادفة الثانية فى لقاء بلا موعد، وارتسمت على وجه النقيب محسن ابتسامة عريضة علامة النشوة والظفر.

أما كلير جوردون فقد افتعلت الاندهاش لمرآه ، وكأنها كانت تفكر فيه أيضاً دون أمل فى لقاء يجمعهما.

بيد أن ضابط البوليس الذى وقع تحت سلطان جمالها بادرها بالتحية وإظهار إعجابه الشديد بذوقها فى اختيار ملابسها، مبدياً سعادته لأنه رآها للمرة الثانية بعدما عجز عن العثور عليها طوال الأيام الفائتة.

من هنا أدركت المرأة الذكية أن الضابط المصرى وقع أسيرا لأنوثتها وفتنتها ، وبدأت أن تتصرف من هذا المنطلق وفق الخطة المرسومة، حيث أظهرت هى الأخرى إعجابها به فى كلمات قليلة معبرة منتقاة ، وحصلت منه هذه المرة على تليفون مكتبه الخاص وكذا تليفون بيته، وإن كان قد طلب منها أن تطلبه فى شقته فقط تحسباً لأية ظروف. فأبدت تفهما ووعدته بالاتصال به فى القريب العاجل.

السر الخطير

كان مانداى فى قمة سعادته لنجاح الخطوات الأولى من خطته، وكان يجلس لساعات طويلة مع عميلته الجديدة لتدريبها على كيفية التعامل مع الضابط المصرى العازب، من حيث الأحاديث التى من المفترض أن تدور سواء فى المنتزهات أو شقته وما يتخللها من موضوعات وردود.

وأيضاً من حيث إحاطته بالقدر الكافى من الحنان لشل إرادته، وإعاقة مقاومته بالجنس الساخن ، مما يستحيل عليه التفريط فيها أو التخلى عنها تحت أية مستجدات.

وبعد مرور عدة أيام كان النقيب محسن يشتعل شوقاً لفتاته التى لم تتصل به كما وعدته، وظل يمنى نفسه بمكالمة تليفونية منها ليظهر براعته ومواهبه فى اصطياد النساء، ويتفق معها على لقاء قريب فى شقته.

هكذا كان يخطط الضابط المصرى، وهو ما كانت تخطط له كلير أيضاً بالاشتراك مع مانداى داهية الاستخبارات البريطانية فى الشرق الأوسط.

وعندما دق جرس التليفون فى شقة النقيب محسن وكانت المتحدثة كلير جوردون، حتى انطلقت مواهبه فى بث إعجابه ، ومثّل عليها دور المريض الذى أصيب بوعكة مفاجئة، فعرضت هى أن تزوره للاطمئنان عليه، وكان هذا العرض ذروة ما كانا يأملانه.

وعندما فتح لها باب شقته لتدخل، بنظرات صياد ثاقبة لمح بعينيها شعاعات الرغبة الظامئة، ودفء الاحتياج الشديد إلى احتواء ضجيج أنوثة تتفجر.

فى ذلك اليوم أصيبت العميلة البريطانية بالذهول التام، فبدلاً من أن تسيطر على الضابط الشاب انقلب السحر على الساحر، وتمكن هو برجولته الساحرة المدهشة من السيطرة عليها، جسدا، وعقلاً، وفكرا . مما دعاها لأن تكون تابعة له لا تستطيع منه فكاكاً.

إذ اعتادت زيارته والالتقاء به وأدمنت لحظات وجودها ببيته، حتى أصبحت هذه اللقاءات تمثل لديها كل السعادة التى تنشدها ولا تريد سواها.

هذا الإدمان الشره العجيب حوّل فكرها تماماً إلى الناحية الأخرى، فغصباً عنها شعرت بعاطفة قوية تجاه النقيب محسن، عاطفة تشبه الأعاصير فى قوة اندفاعها، مما ينبئ بحدوث خسائر على المدى القريب.

لقد أذلها هذا الحب ، وحطم فيها روح المعاناة التى تتحلى بها العميلة المكلفة بمهمة ما. وكانت تتعذب كثيرا كلما سافر إلى أسرته فى المنصورة فى أجازته التى كانت أيامها تمر عليها كالدهر المديد.

وفى يوم عرضت عليه أن تقيم لديه بشقته عدة أيام خوفاً من افتقاده.

ولما سألها عن زوجها المهندس البحرى روبرت جوردن ، لوت شفتيها فى قرف قائلة إنه لا يهتم بها سواء وهى معه فى البيت أو وهى بعيدة عنه، ذلك لأنه يفضل العمل فى صيانة المعدات أكثر من أى شئ آخر، حتى أنه يقضى أحياناً أياماً طويلة فى السويس أو بورسعيد منهمكاً فى عمله دون أن يفكر مرة واحدة فى إجراء اتصال تليفونى بها.

قالت له أيضاً إنها تزوجت هـذا المخلوق بغير إرادتـها لأنـه كـان صديقاً لوالدها. وبرغم أنه كان ينـاهز الخمسين مـن عمـره، كـان يطعنها فى أنوثتها، ويتهمها دائماً بالبرود العـاطفى الـذى يدفعـه - كما يقول - إلى النفور منها.

وفى إحدى الأمسيات بينما كانت تبيت معه فى شـقته، قـررت أن تتخذ الخطوة الصعبة التى كانت ترهق بالها، فتعترف له بالسـر الخطير الذى يؤرقها.

السـر الـذى قـد يحطـم علاقتـها بـه إلى الأبـد وقـد يدفعـها إلى الجنون أو الانـتحار ..

وربما يكون اعترافها شهادة صدق تدفعـه لأن يغفـر لهـا ، ويثـق بها ويتفهم موقفها .. وعندئـذ قـد يتعـاون معـها للوصـول إلى أيـة حلول تساعد على ألا ينفصلا فى يوم من الأيام .

الاعتراف

-«فى حياتى سر فكرت كثيرا فى مكاشفتك به، لكننى خشيت صراحة أن أبوح لك به حتى لا أخسرك. فأنت تسكن بعرقى وتسبح فى دمى ، وبدونك حتما سأموت حزنا وكمدا. لكن الذى دعانى اليوم لأن أصارحك بكل شئ، هو رغبتى فى البقاء إلى جوارك بعدما هُدِّدت اليوم بأننى لن أراك ثانية ..»

باندهاش أنصت النقيب محسن إلى كلير جوردون، وأخذ يزن الكلام الذى تفوهت به دون أن يصل إلى إجابة لسؤاله:

- من هؤلاء الذين يهددونك ..؟ وما هذا السر..؟

مسحت دموعها المنسابة وهى تقول فى همس حزين وكانت مطرقة الرأس:

- «أتعدنى بألا تهجرنى ..» ؟

بصبر نافذ صرخ فيها:

- لن أعدك بشئ مطلقاً قبلما تتكلمين .. هيا .. إنى منصت لك يا كلير..

نظرت إليه فى خوف يشوبه الحب والحنان وقالت:

- «أنا عميلة بريطانية».

وسكتت لتراقب رد فعله ... لكنه لم يقل شيئاً وإن كان وقع الخبر بادياً على وجهه .

أردفت:

- «لقد جندنى مانداى ودربنى لأقيم علاقة عاطفية معك، ثم أسعى للسيطرة عليك وتجنيدك لكى تحصل الاستخبارات البريطانية من خلالك على التقارير التى ترسلونها إلى رئاستكم فى القاهرة أولاً بأول».

بهدوء شديد سألها:

- ثم ماذا ..؟

غلفت كلامها بلهجة الصدق وأكملت:

- «ولأننى أحببتك لم أشأ أن أمارس مهمتى معك .. لقد تهربت كثيرا من أسئلة مانداى طوال الفترة الماضية، لكنه هددنى اليوم فقط بأنه سيفكر فى إعفائى، وسيعمل على تسفيرى إلى بريطانيا بمفردى كنوع من العقاب. وإننى اليوم جئت لأقول لك إننى بحاجة ماسة لمساعدتك.» !

قال متهكماً:

ـ مساعدتى ...؟

رفعت وجهها إليه وقالت فيما شبه التضرع:

ـ «إن قيادتى تطالبنى بالتقارير التى تكتبونها عن المقاومة ، حتى يمكن إحباط العمليات الفدائية فى المهد بعدما منيت قواتنا بخسائر جسيمة.

إننى ملزمة بالعمل على إمدادهم بهذه التقارير لكى لا يتم ترحيلى إلى بريطانيا مع توصية بحرمانى من الاستمرار فى العمل هناك .. إنت الوحيد القادر على مساعدتى حتى أحظى بثقة رؤسائى .. وأكون فى الوقت نفسه إلى جوارك دائماً فتظل علاقتنا قوية .. ومستمرة» .

وقف النقيب محسن وقال لها بصوت أجش:

ـ كلير جوردون

وعندما رفعت رأسها والتفتت إليه هوى بكف يده على خدها، وظل يضربها بعنف وقسوة دون أن تأخذه بها شفقة. ولما نزف الدم من أنفها توقف قليلاً عن ضربها، فقالت:

ـ «أرجوك يا محسن .. كل ما أرجوه هو ألا تخون وطنك.. إننى أطلب منك فقط معلومات ثانوية لا تضر بأى إنسان، بما يضمن لى

تثبيت مركزى هنا فى مصر وإلا فسينتهى كل شئ بيننا .. ثم إننى سأمدك بمعلومات حقيقية عن قاعدة فايد وسأقدم لك أثمن الأسرار التى تبحثون عنها ولا يمكن لكم الوصول إليها» .

لكن الضابط الغاضب لم ينصت إلى ما قالته العميلة البريطانية، واتجه إلى حيث ملابسها فقذفها بها وأمرها بالخروج فورا من شقته وألا تزوره بعد ذلك أبدا.

بكت العميلة العاشقة ترجوه ألا يتخلى عنها، لكنه طلب منها الخروج حالاً، مهددا بإبلاغ السلطات بأن لديه جاسوسة بريطانية، وعندها فسوف تتم محاكمتها بتهمة التجسس على مصر لصالح بريطانيا.

خرجت الفتاة باكية منهارة حزينة يائسة. وفى الصباح ذهب النقيب محسن إلى اللواء صلاح متولى، مدير الأمن فى منطقة القناة، وحكى له فى صراحة تامة تفاصيل علاقته بالعميلة البريطانية، طالبا نقله إلى منطقة أخرى بعيدة.

الصفقة

اخفت كلير جوردون عن مانداى ما وقع لها فى شقة النقيب محسن، وحاولت كثيرا نسيان هذا الحب المدمر الذى عانت منه، لكنها كانت أضعف من أن توأد عواطفها قسرا وتخنق خفقات قلبها العاشق. وعذبها كثيرا عدم رد حبيبها على تليفونها بما يدل على أنه ترك مسكنه نهائياً إلى مسكن آخر.

وخالفت، غصباً عنها، أوامره بالا تتصل به فى المكتب تحت أية ظروف، وعندما اتصلت به جاءها الرد بأنه فى أجازة طويلة، انتظارا لنقل إلى محافظة أخرى.

فجن جنونها، وأيقنت بأن هذا التطور المفاجئ ما كان له أن يحدث دون إبداء رغبة منه ليهرب منها إلى الأبد.

زلزل الخبر فؤادها المجروح ، ولعنت هذا الحب الذى قذف بها إلى المهانة والإذلال بدون قدرة على مجابهة أعاصير مشاعرها .

كان اللواء صلاح متولى قد رفض طلب نقل النقيب محسن فى البداية، وأمام إصراره وافق أخيرا على طلبه برغم ما تبادر إلى ذهنه وقتها من إمكان استغلال العميلة البريطانية العاشقة فى الحصول على أسرار عسكرية تفيد القيادة المصرية.

لكن المثير فى الأمر، أن اللواء متولى تلقى ذات يوم مكالمة تليفونية من زوجته، تقول فيها أن هناك سيدة أجنبية جاءت تلح فى مقابلته.

فطلب منها أن تستقبلها وتجلس معها حتى عودته إلى المنزل، إذ كان يعرف بالضبط من تكون هذه الضيفة.

وعندما وصل مدير الأمن إلى البيت صافح السيدة الأجنبية وانفرد بها فى الصالون.

وعلى الفور سألها:

- أهلاً بك مسز جوردون .. ترى ماذا تريدين منى أن أفعله لك...؟

دهشت البريطانية العميلة لفراسة الرجل وقالت:

- أنا متأكدة يا سيدى بأننى لم أقل اسمى لزوجتك .. فكيف عرفت من أنا ..؟

ابتسم وقال على الفور:

- وصفتك لى زوجتى.. ووجدت انطباقاً لما وصفه لى النقيب محسن.

حينئذ انزلقت دمعتان حارتان من مجرى عينيها ، وهمست

فى أسى :

ـ أرجو أن تثق يا سيدى فيما سأقوله لك ..إننى أحب هذا الضابط ولا أريد أن أتخلى عنه أبدا .. ومهما كانت الظروف .. واسمح لى يا سيدى أن أعقد صفقة معك .. صفقة تعيد إلى حبيبى، مقابل أن أقوم بأى عمل تكلفنى به. إننى أحب .. والمرأة إذا أحبت فهى على استعداد لفعل أى شئ من أجل الاحتفاظ بحبيبها، وإلا فالموت أرحم من الفراق.

وأضافت:

ـ أريد معلومات ثانوية تافهة أقدمها إلى رئاستى لأضمن استمرار بقائى فى مصر.. معلومات تضعونها أنتم بحيث لا تمس أمن أى إنسان ، أو تؤدى إلى نشوء مشكلات.

وبعد تفكير قال لها :

ـ إننى أقدر مشاعرك هذه يا سيدتى .. وأوافق على طلبك السخى بشرط ......

وبعد لحظة صمت أردف:

ـ أن تقدمى لى دليل إخلاصك لنا .

هتفت فى صدق:

- إن لدى التقرير اليومى عن أعمالنا والذى يرسل يومياً إلى الرئاسة فى لندن. وأنا على استعداد لأن أحضره لك يومياً قبل إرساله، ولمدة نصف ساعة فقط.

قال الرجل:

- ليكن هذا .. وبعدها سأصدر قرارا بعودة النقيب محسن إلى عمله هنا مرة ثانية.

وبعد عدة أيام عاد النقيب محسن إلى الإسماعيلية.

لقد كانت كلير جوردون مخلصة لأبعد الحدود فيما قررته، وتصرفت بشكل تلقائى حسبما اتفق معها مدير الأمن اللواء صلاح متولى.

ولما عاد النقيب محسن بدت العميلة البريطانية اكثر نشاطاً، وكانت حريصة على أن ترضيه فيمنحها الحنان والعطف والمشاعر التى تحتاجها كامرأة افتقدت الألفة والحب مع زوجها.

ولفترة طويلة تولى النقيب محسن عملية تسلم التقرير اليومى منها ، كما كان يسلمها معلومات مغلوطة تم طبخها فى معمل الأمن المصرى بأسلوب لا يمكن الشك فيه.

هكذا طغى الحب على العميلة البريطانية وأنساها إخلاصها

لوطنها، حتى شك فيها مسئول الاستخبارات البريطانية ، مانداى ، وقرر نقلها إلى لندن .

وكان ذلك بعدما تبين له أن المعلومات التى كانت تزوده بها عن تحركات المقاومة ، معلومات مشوهة، ساعدت على إرباك القوات البريطانية فى منطقة القناة، مع اشتداد العمليات الفدائية التى كانت تضرب الوجود البريطانى بلا هوادة فى شتى المواقع.

لكن .. ماذا جرى مع كلير جوردون فى لندن ..؟

لم تفصح المخابرات البريطانية عن مصير كلير جوردون، وهل كشف أمرها وحوكمت ؟

لا أحد عرف حتى اليوم أية معلومات عنها منذ غادرت مصر إلى لندن ..

لقد اختفت كسراب ولم تترك آثارا تدل عليها ..!!

لكن ظلت هناك علامات استفهام بلا إجابة ..!!

وذكريات يصعب تناسيها مليئة بالحب والصدق والخيانة والوفاء ..

مزيج عجيب من تفاعلات النفس البشرية التى لا يعلم سرها إلا خالقها ..!

إيلين وندسور



جاسوسية سوفييتية بلا قلب .. أدمنت القتل والاغتيال بلا تردد بعد تدريبات طويلة فى موسكو .. وعندما أوفدت فى مهمة إلى كندا، رجف قلبها الذى عرف نبضات الحب لأول مرة .. وذاقت لسعة العشق والسهد والأرق .. وخوفا من انكشافها فضلت أن تضحى بحبها وتهرب بجلدها إلى موسكو..!!

أبناء جاكزينا

النساء والجاسوسية موضوع مثير يدعو للإطلاع والتشويق والمتابعة، خاصة إذا ما كانت هناك أمور خارج نطاق التصور والطبيعة.

فالمرأة فى العادة هى الحنان والرقة والحب والزهو والحياة.. لكنها فى قصص المخابرات الجاسوسية مختلفة تماماً.. فقياسات كل هذه الأشياء مختلفة حتى الحب، فهو يبدو حباً مسموماً مخيفاً ومرعباً..

أما إذا تبدلت فطرة المرأة، ولو كانت جاسوسة، إلى ما هو غريب عن التصور.. كالمرأة الجاسوسة القاتلة بالسم.. أو بالنار .. أو بقبلة يمتزج فيها الموت بالعاطفة.. فتلك مدهشات الأمور التى تثير فى نفوسنا العجب .. والغرابة.

وعموماً .. إن المرأة الجاسوسة ذات القلب الغليظ المتحجر.. قد تحب بصدق، فى حالات نادرة، وتمنح الحبيب أروع ما تختزنه من عواطف .. وقد تقبل أحياناً أن تموت لأنقاذه، فلكل قاعدة شواذ كما يقال.. ولا أحد يستطيع توقع تصرفات إنسان.. ولا تدابير القدر.

وقد اشتهرت الاستخبارات السوفييتية بأنها الأكفأ فى تجنيد النساء وتدريبهن لإرسالهن فى مهام شديدة الخطورة .. وبرغم اشتهار أسماء لنساء يعملن لصالح أجهزة استخبارات أخرى.. إلا أن نساء المخابرات السوفييتية كن دائماً الأمهر شراسة وتصرفاً وذكاء وعبقرية ..

إنهن نوع خاص مختلف عن سائر النساء.. كانت مهارة تدريبهن فوق الوصف والتصور.

ويكفى للتدليل أن نشير إلى أن أسرار الذرة والقنبلة النووية.. نقلتها امرأة يهودية أمريكية إلى الروس، هى ايثيل روزنبرج .. وعندما سيقت هذه المرأة غريبة الأطوار إلى الكرسى الكهربائى لإعدامها .. كانت تغنى رابطة الجأش واثقة من أنها تصرفت التصرف السليم لخدمة روسيا والشيوعية. وكان جملة ما اخذته إيثيل هى وزوجها من اتعاب، ألف دولار أمريكى مقابل سر القنبلة الذرية.

هذه واحدة من جاسوسات الروس كمثال.. وهناك غيرها أسماء لجاسوسات عديدات ، قدمن خدمات لموسكو يعجز العقل عن تخيلها .. لكن كل هذا يعطينا دافعاً قوياً لنقرأ عن نساء الجاسوسية وحكاياتهن الخارقة وشخصياتهن المدهشة.

بيد أن ذلك كله يرجع لأكاديمية الجواسيس فى موسكو، أو ما يطلق عليها اسم «مدرسة جاكزينا» ، تلك التى تعمل ليل نهار على تفريخ الجواسيس من الجنسين وتؤهلهم علمياً ولغوياً وثقافياً، وبعد تدريبات شاقة مرهقة يتم القذف بهم إلى خارج الاتحاد السوفييتى فى مهام عديدة، وبواسطتهم ترسم الحكومة سياساتها الخارجية مع الدول، وتقرر خطط التعاون المشترك فى مجالات بعينها.

وفى «جاكزينا » كان يدرس للطلاب بها عتاة الخبراء وكبار الجواسيس المتقاعدين الذين قاموا بعمليات خرافية لصالح الشيوعية، حيث يستفيد الطلاب من خبرات هؤلاء فى شتى المواقف.

زيارة غير متوقعة

كان الكولونيل «يوجين راديونسكا» ضابط المباحث العامة فى موسكو صارماً لا يعرف الهزل، حتى أن زوجته ناتاشا كانت تخاف منه أحياناً عندما يثور.. لكنه كان يبدو كالقط الأليف أمام «تانيا» الجميلة الرقيقة الوادعة، التى التحقت بالتعليم الثانوى حيث قيدت بمدرسة علوم الميكنة.

إنها ابنته الوحيدة التى كان يفتخر بها لفرط نبوغها المبكر، واهتمامها بدراسة التاريخ وعلم النفس إلى جانب دراستها بالمدرسة!! مما أهلها للالتحاق بمعهد موسكو الصناعى.. وهناك برز تفوقها الذى كان حديث أساتذتها قبل زملاءها.. وظلت على طريق التفوق حتى أنهت دراستها العالية بتقدير ممتاز.

وعندما سألها والدها يوماً عن الأمنية التى تريد تحقيقها، كانت إجابتها مثيرة للدهشة:

- «أريد أن تعلم التصويب بالمسدس»!!

فأخذها «يوجين» إلى منطقة خالية على أطراف موسكو.. وشرع فى تعليمها كيفية استخدام المسدس أولاً والتحكم فيه.. ولما لاحظ تمكنها منه، وكان مسدساً ضخماً ثقيلاً، شرع فى تلقينها

أصول فن التصويب، من حيث وضع الساقين فى حالة ثبات ، والإمساك بالمسدس بيدين ممدوتين و... الخ..!

لكن ضابط المباحث كان ذهوله يرتسم على ملامحه فى الكثير من المواقف..

ذلك أن ابنته أجادت إمساك المسدس الثقيل بيد واحدة .. وتحمل صدمة إطلاق المقذوف بشجاعة.

ثم فوجئ بعد ذلك بأن رصاصات ابنته تصيب بنسبة٩٠ ٪ منتصف الدائرة التى رسمها لها بالطباشير فوق جذع شجرة عملاقة.. حيث لم يكن يتخيل مدى إجادتها التصويب الدقيق إلى هذا الحد !!

وما ضاعف من ذهوله، ودهشته المفرطة، أن «تانيا» أظهرت براعة لم يكن هو نفسه يجيدها.. أو يعرفها إن شئنا الدقة. وذلك عندما كانت تعطى ظهرها للهدف، ثم تستدير فجأة بيدها الممدودة المتحفزة، وفى اللحظة التى تقف فيها فى مواجهة الهدف، تطلق رصاصة واحدة مصيبة تماماً.

هذه التجربة كررتها مرات ومرات.. حتى أنها وقفت على مسافة عشرين مترا وأصابت منتصف ورقة بيضاء بحجم علبة السجائر مثبتة على شجرة.

وذات مرة ربطت مشبك شعرها بخيط وعلقته بغصن شجرة، وعلى مسافة أبعد صوبت فاختفى المشبك .

وصعق الأب الذاهل لمهارة ابنته الغير طبيعية. ولم ينسى يوم صحب فيه تانيا وأمها بالسيارة إلى رحلة خلوية، وتبارى مع ابنته على صيد أرنب برى. وبينما أضاع هو خزنتى رصاص هباء، أطلقت هى رصاصة واحدة على أرنب كان يجرى قافزا فقتلته فى الحال.

لقد كان الكولونيل يوجين راديونسكا يتحدث عن تانيا إلى رئيسه بفخر وتباه، واصفاً له فى كل مرة مدى تطورها فى التنشين إلى حد يفوق أعتى المحترفين فى كل روسيا .

ولم يكن الأب الفخور يعتقد أن حكايته عن ابنته ستنتشر بين رجال المباحث ودائرة الشرطة فى موسكو، حتى طلبه قائد الشرطة العام ذات يوم، وبعدما سمع منه الإعجاز الفنى فى التنشين عند ابنته ، أخبره بأن نائب مدير الاستخبارات السوفييتية عنده تفاصيل كل هذه القصص التى تناقلها رجال الأمن عن ابنته، وأنه، أى نائب مدير الاستخبارات، يطلب من تانيا أن تزوره بمكتبه.

إيلين وندسور

وفى اليوم التالى كان يوجين وابنته فى مكتب المسئول الكبير، الذى سأل تانيا مباشرة:

ـ «لماذا تفوقت هكذا ـ كما يقول والدك ـ فى التصويب بالمسدس..؟

أجابته:

ـ «عندما كنت طفلة صغيرة .. كان بيتنا بالقرب من أطراف المدينة .. وكنت أسمع الحكايات المثيرة عن اللصوص .. ووقتها تمنيت أن أمتلك مسدساً لأمنع به اللصوص إذا فكروا فى اقتحام بيتنا.» .

قال:

ـ «وهل رأيت لصوصاً..؟

قالت:

ـ لا.. وتصورت لسنوات طويلة أنهم ربما قرأوا أفكارى لذلك هربوا بعيدا عن بيتنا.».

قال:

ـ «ولو حدث ورأيت لصوصاً الآن..؟

أجابت على الفور.. وبحماس:

ـ «سأقتلهم.. وبدون تردد ، فهم ربما يقتلوننى لو لم أفعل أنا قبلهم»!!

قهقه الرجل عالياً ... ثم ارتسمت الجدية على وجهه وهو يقول :

ـ «اللصوص لا يهدأون أبدا يا آنسة تانيا.. إنهم أناس يحيون على إيذاء الآخرين بلا رحمة.. ومن الواجب الاستعداد لمواجهتهم فى أية لحظة.. هه.. صحيح..»؟

قالت :

ـ «نعم .. إنهم يتربصون ثم ينقضون فجأة » !

قال :

ـ «إذن من الواجب الاحتراز والحرص .. ودراسة خطواتهم تحسباً لهجومهم المفاجئ.»!!

وأردف:

ـ «هل لى أن اطلع بنفسى على مهارتك هذه .. آنسة تانيا..»؟

فرافقته مع بعض رجاله إلى صالة تحت الأرض بالمبنى نفسه

مخصصة لضرب النار.. فتملكه الذهول هو ومرافقيه لدقتها وسرعتها وثبات جسمها برغم نحافتها. وأجريت مبادرة تصويب بينها وبين ضابط شاب جهم الوجه.. والنتيجة حسمت لصالها بنسبة عشرة إلى صفر.

منذ ذلك اليوم وتانيا أصبحت على قوة الاستخبارات الروسية.. وكان يلزمها تدريبات أخرى ودراسات عديدة عن فن التجسس وتعلم اللغة الإنجليزية بطلاقة كأهالى لندن تمهيدا للاستعانة بها فى عمليات خارجية لن يجيدها سوى امرأة ثابتة الأعصاب، واثقة من نفسها .. بريئة الوجه ناضجة الأنوثة مثل تانيا..

تلك الروسية التى أطلق عليها فيما بعد اسماً كودياً : «إيلين وندسور».

أما صالح مرسى فقد أسماها: «قاتلة باردة الأعصاب[1]»، ولخص عادل حمودة القصة بأسلوبه الذكى ليضفى عليها عذوبة إبداعه المعهود.

---

(١) تعتبر هذه القصة آخر ما كتبه الأستاذ صالح مرسى فى سلسلة (نساء فى قطار الجاسوسية) التى لم تكتمل لوفاته . وهذه القصة نشرت بعد وفاته ، ونشر الأستاذ عادل حمودة تلخيصها فى جريدة (صوت الأمة) أيام كان رئيس تحريرها ..!!

وريشة الخالة

تانيا ماركوفنا راديونسكا ..اسم يثير الفزع لجاسوسة سوفييتية تدربت على الاغتيال والقتل دون أن يهتز لها جفن أو يضطرب قلبها أمام أنات ضحاياها.

إنها نموذج غريب وشاذ لامرأة فولاذية المشاعر.. أدمنت المغامرة وحذقت العمل السرى بعد تدريب مطول فى موسكو، ثم أطلقت لمطاردة هؤلاء الذين رؤى شطب اسمهم من سجلات الأحياء.

قصة جاءت تفاصيلها فى مصادر كثيرة لكن الراحل صالح مرسى أضفى عليها بصمة إبداعه عندما كتبها ونشرت بعد وفاته فى الجزء الثانى والأخير من كتابه: «نساء فى قطار الجاسوسية» بعنوان : «قاتلة باردة الأعصاب» .

وبرغم ما بالقصة من غرابة التفاصيل، إلا أن البطلة المدربة على الفتك والقتل، رجف قلبها للحب بصدق، وعرفت لوعة الهوى والسهد والأرق .. لكنها اختارت فى النهاية أن تهجر حبيبها، وتهرب، خوفا على انكشاف أمرها!!

فكيف كانت البداية..؟

تعالوا إذن نطالعها خطوة خطوة..!

يقول الكاتب الصحفى الأستاذ عادل حمودة فى تلخيصه لكتاب الراحل صالح مرسى[1]:

الزمن :شتاء عام ١٩٥٨.

فتاة شقراء متوسطة الطول ذات عينين زرقاوين وبشرة مشربة بحمرة خفيفة، وجسد متناسق أسهمت فى إبراز تناسقه بدلة الغوص السوداء التى كانت ترتديها.

نزلت إلى الشاطئ الإنجليزى .. وسرعان ما انطلقت بها سيارة غامضة قطعت الطريق السريع إلى إحدى قرى الشمال البريطانى.

---

(١) جريدة : صوت الأمة عدد ٢٠٠٣/٧/٢٨

قرار الرحيل

لا أحد يعرف على وجه اليقين اسم تلك المدينة التى ظهرت فيها «إيلين» فى صبيحة اليوم التالى، لم يكن اسم الفتاة «إيلين» بطبيعة الحال .. بل كان هذا هو الاسم الذى أعطى لها فى مهمتها الجديدة.

كان اسمها «تانيا ماركوفنا راديونسكا» وكانت واحدة من خريجات مدرسة الجواسيس السوفييتية الشهيرة «جاتزنيا» .

اختيار الطلبة فى هذه المدرسة يخضع لمقاييس بالغة الدقة، وما إن يتم اختيارهم وهم لا يزالون فى مدارج الصبا - يعيشون فى هذه المدرسة لعشر سنوات كاملة لا يبرحونها تقريباً إلى أى مكان.

كانت المدرسة من الفخامة بحيث تتسع لعدة مدن صغيرة تناثرت فى أرجائها ، يفصل بينهم سياج أمنى من المستحيل اختراقه، ذلك أن كل مدينة من هذه المدن كانت نسخة طبق الأصل، من حى من أحياء مدينة معروفة فى البلاد الناطقة بالإنجليزية، مثل كندا واستراليا ونيوزيلاند وإنجلترا بطبيعة الحال.

كان على الطالب أو الطالبة أن يعيش فى هذه المدينة نفس الحياة التى يعيشها مواطنو هذه الدول، إذ كان عليه أن يتحدث بلغتهم دون أية لغة أخرى ، وأن يتقن لهجاتها ويتعامل بعملاتها، ويأكل نفس الطعام، ويدخن نفس السجائر، ولذلك لم يكن من الصعب على «إيلين» أن تجد عملاً فى تلك المدينة البريطانية الصغيرة .. فى تلك الفترة لم يكن مطلوباً منها أن تمارس مهمتها التى أرسلت من أجلها إلى بريطانيا .. لأن مهمتها الحقيقية كانت فى كندا.

اختار رجال الـ «كى . جى . بى» كندا لأن الروس كانوا دائمًا يعتبرونها بابًا خلفيًا للولايات المتحدة ، ففى كندا تقوم بعض الصناعات المساعدة للصناعات الثقيلة، ومثل هذه الصناعات تشير بالضرورة إلى ما يمكن أن يتم هناك إذا ما تعذرت الأمور على المعرفة.

قررت إيلين أن ترحل إلى لندن .. استأجرت غرفة فى بيت سيدة فى الأربعين من عمرها اسمها «مسز هنتر» ، وكما استطاعت أن تدخل قلب هذه السيدة الطيبة، فلقد غزت قلوب العديد من الفتيات اللاتى كن يلتقين بها فى هذا العمل أو ذاك من تلك الأعمال التى تلتحق بها.

وعـود لـن تتحقق

منذ البداية أخبرت إيلين كل من عرفها أن لها خالة مريضة فى مونتريال وبين الحين والآخر كان يصلها خطاب يحمل طوابع بريد كندية.

وكانت الخالة المزعومة تشكو لأبنه أختها من المرض والوحدة، حتى إذا ما تلقت «إيلين» الضوء الأخضر من موسكو بالتحرك، أعلنت أن وقت الرحيل قد أزف كى تلحق بخالتها العزيزة قبل أن تودع الدنيا .

فى شهر مارس ١٩٥٩ وصلت «إيلين» إلى مونتريال .. كان لابد أن تصنع لها تاريخيًا ..

وكان هذا التاريخ جاهزا ، ظلت فى مونتريال ثلاثة أشهر، ثم أعلنت ان خالتها العزيزة توفيت، وأنها تركت لها ثروة لا بأس بها، وأنها من أجل هذا قررت الانتقال إلى العاصمة اوتاوا، فالثروة التى ورثتها قد تكفيها شر الحاجة، لكنها يجب ألا تعتمد على ما ورثته ولابد لها من البحث عن فرصة أنسب للعمل.

وصلت إلى أوتاوا .. استأجرت مسكنًا مناسبًا .. ثم وجدت عملاً فى أحد محلات بيع الملابس الداخلية للسيدات.

وعندما تسلمت وظيفتها ووصلتها الوثائق التى تثبت ميراثها من خالتها كان قد مضى على هبوطها إلى إنجلترا عامان كاملان .. وقد أصبحت جاهزة تمامًا لأداء مهمتها.

كان أول ما فعلته أنها قابلت شابًا فى التاسعة عشرة من عمره، كان يتردد على نافذة عرض الملابس فى الطريق.. كان صعبًا عليها أن ترقبه من طرف خفى وأن تدرك فى الوقت نفسه أن هذا الصغير يهيم بها حبًا .

كان اللقاء فى حانة .. شجعته فتقدم منها. ولم تخرج من الحانة إلا وهى تتأبط ذراع الشاب الذى كان اسمه «جاك» وكأنها تحتمى به.

وصلت سعادته ذروتها وهو يسير إلى جوارها فى الطريق .. كان ينتشى كلما ازدادت التصاقًا به وهما يسيران معًا من شارع إلى آخر، حتى قالت له ـ وكأن الأمر جاء بشكل عارض ـ إنها تعانى من وصول الخطابات إليها من القارة ، (كانت تقصد إنجلترا بطبيعة

الحال) ، وأنه يبدو أن عنوانها قد أصبح واحدًا من طلاسم أوتاوا.

حتى انبرى جاك عارضًا عليها فى حماس أن تعطى لأصدقائها عنوانه هو ولسوف ينقل إليها الخطابات فى نفس يوم وصولها، ولم يكن الفتى المسكين يعرف أن هذا هو كل ما تريده منه، وسرعان ما أخرج ورقة وقلمًا وكتب عنوانه فرمته بنظرة امتنان جعلته يتبدد حبأ.

ولم تنس وهى تودعه أمام سيارة أجرة استوقفتها أن تطبع على وجنته قبلة أطارت لبه، وتركته إيلين ضائعاً مبددا غارقًا حتى أذنيه فى حب لن ينال من ورائه سوى الوعود التى لن تتحقق أبدا.

الشـــريك

وهكذا استطاعت إيلين أن تحصل علـى صنـدوق بريـد مجانى، فوق أنه - فى نفس الوقت وهذا هو المهم فى الأمر - صنـدوق آمـن ، فإن أحدا لن يستطيع فى أى ظرف يحدث فـى المستقبل أن يتهمـها بوصول خطابـات كـانت تصـل إليـها مكتوبـة بشـفرة مـن الصعـب حلها، وبدأت ايلين بعد ذلك تكوين شبكتها الخاصة بدأب لا يعرف الكلل.

كان زبائن المحل الذى كانت تعمل فيه هم أول من تـرتبط بهم وتقيم معهم علاقات كانت تتطور بطبيعة الحال يومـا بعـد يـوم، إلى أن تضع يدهـا علـى نقطـة ضعـف هـذا أو ذاك، فتغذيـها إذا مـا كانت فى حاجة إلى معلومات منه، حتى إذا مـا ارتبـط وبـدأ يبـوح بأسرار عمله، كان هذا إيذانا بأن عجلة التجنيد ثم التجسس بدأت تدور .

قبل نهاية ١٩٥٩ كانت ثمة خطوة مهمة لابد من اتخاذها، كـادت الشبكة المرجوة أن تكتمل وبالتالى فلقد كانت إيلين فى حاجـة لأن تكون حرة فى حركتها.

أهم ما فـى تلـك الحركـة هـو تحديـد مواعيدهـا مـع عملائـها،

سواء كانوا على دراية بأنهم عملاء أم أنهم على غير دراية بالأمر، وكان هذا يتعارض تعارضاً مطلقاً مع عملها فى ذلك المحل الذى كان ولابد أن تلتزم بمواعيده، حتى إذا ما كان يوم أعلنت أنها قررت استثمار تلك الثروة التى ورثتها عن خالتها فى افتتاح محل خاص بها لبيع الملابس الداخلية للسيدات.

بعد أيام من افتتاح المحل ذهبت إلى طبيب الأسنان كى يعالج لها ضرسًا سبب لها آلامًا مبرحة، فما كان من الطبيب إلا أن قرر خلع الضرس فى الحال ولم تمانع هى وكتب لها الطبيب روشتة، كان من بين الأدوية التى فيها دواء مخفف للآلام.

فى الصيدلية التقت بصيدلى شاب اكتشفت منذ الوهلة الأولى أن وراءه سرا ..

عادت إليه فى اليوم التالى، طلبت منه فى توسل أن يعطيها دواء آخر ليسكن آلامها .. ولم يكن هذا ممكنا فالقوانين شديدة الصرامة، وهو لو فعل ذلك واكتشف أمره فلسوف تسبب له متاعب هو فى غنى عنها.

وثقت علاقتها بالصيدلى حتى حصلت منه على «سم» قاتل لا تظهر آثاره فى جثة المتوفى ، منحها إياه بعد أن أخبرته أن هناك فأرا فى منزلها يزعجها وتريد أن تتخلص منه.

كانت إيلين تشك أن الصيدلى واسمه «فرناندو كورتيز» وراءه سر خطير .. وبالفعل بعد أن وقع فى براثنها حكى لها الحقيقة كاملة.

قال لها إنه تخرج فى كلية الدواء - الصيدلة - فى بوجوتا عاصمة كولومبيا - وكان تخصصه الذى عشقه فى فرع السموم، ووجد عملاً بعد تخرجه مباشرة، لكن شهورا قليلة ما كادت تمضى حتى اتصل به رجال المافيا طالبين منه نوعًا من السموم التى لا تترك أثرًا فى جثة من تقضى عليه.

امتلأ فرناندو رعبًا فى البداية، رغم أن ما حدث كان بالنسبة للكثيرين فى كولومبيا - التى تسيطر عليها عصابات المخدرات أكثر من سيطرة الحكومة - طبيعياً للغاية، حاول المقاومة . لكنه استسلم فى النهاية.

ولم تمض سوى أسابيع قليلة حتى تحقق ظنه، فما إن أمدهم بما طلبوا، حتى بدأوا يطالبونه بمهام بدت له مخيفة، فلقد نقل ذات مرة شحنة من المخدرات من بوجوتا إلى مطار سرى يبعد عن العاصمة ببضع مئات من الأميال، وحمل مرة أخرى شحنة صغيرة إلى المطار لرئيسى، واحتفظ مرة ثالثة بكميات وضعوها كأمانة عنده حتى أتى من أخذها.

كان فرناندو فى كل مرة يقع تحت طائلة القانون، وكان يعرف

عـن يقـين مـدى التدمـير الـذى تحدثـه هـذه المخـدرات فيمـن يتعاطونها ، كما كان يعرف مدى القسوة التى يتعامل بها رجال هذه العصابات مع من يعجز عن الدفع و يعصى الأمر.

كان يشعر بتأنيب الضمير، رغم أن ما يقوم به كان مألوفا فى كولومبيا.. حاول إقناع نفسه بما يفعل .. دون جدوى، حتى إذا لم يكن أمامه من سبيل سوى الهرب، لجأ إلى صديق له يعمل فى إدارة حكومية لها علاقة بالجوازات، وافق على أن يمده بجواز سفر باسم «فرناندو كورتيز» وقد فعل هذا بعد أن أقسم فرناندو بأغلظ الإيمان بأنه حتى لو سقط فى أيدى رجال المافيا فلن يبوح بمن أمده بالجواز مهما لاقى من تعذيب.

« إيمانويل سيرا» كان هو الاسم الحقيقى لفرناندو .. لم تهتم إيلين بذلك .. جعلت منه صديقًا لها، حصلت منه على كميات السم القاتل التى أرادتها واستخدمتها بعد ذلك فى التخلص ممن وقفوا فى طريقها أو حاولوا تعطيلها ..

ولذلك لم يكن غريبًا أن يظهر فى خلفية كل الأحداث الكبيرة التى قامت بها إيلين .. لم يشارك فى قتل أحد .. لكنه كان بالقرب من كل الجرائم.

النازى التائه

كان فريدريك هينريش هو ضحية إيلين الأولى .. والحكاية تبدأ عندما دخلت زوجته محل «إيلين» لبيع الملابس الداخلية، كانت فى الخامسة والأربعين من عمرها، لم تكن جميلة وإن كانت مليحة، فرغم السنوات، إلا أن هيئتها كانت تشى بتلك الملاحة الغابرة والتى كانت بالقطع جزءا من جاذبيتها.

ما إن تبادلت إيلين معها بعض الكلمات حتى اكتشفت من لهجتها أنها من أصل ألمانى، أعطتها إيلين قدرًا أكبر من اهتماماتها فراحت تساعدها لانتقاء ما تريده.

دعتها إيلين إلى فنجان قهوة فى مكتبها .. وفى اللقاء عرفت إيلين أن زوج السيدة يعمل مهندسًا كهربائيًا فى مصنع للكيماويات، وأنه تقلد منذ بضعة أشهر مركزا مرموقًا فى المصنع بعد أن أثبت جدارة فى تطوير العمل وتحديثه، واستخدام الطاقة الكهربائية بأساليب مبتكرة.

كان لزوجة فريدريك، واسمها جروترود، مشكلة.. ففى الفترة الأخيرة لاحظت انصراف زوجها عنها، وأرجعت ذلك فى البداية إلى انهماكه فى وظيفته الجديدة، غير أنها اكتشفت مع الأيام أن السر يكمن فى سكرتيرته الصغيرة، تلك الفتاة الحسناء الجميلة

التى تصغره بعشرين عامًا كاملة، وأنها بذلت معه كل جهد ممكن دون فائدة تذكر.

انصرفت إيلين لتبدأ البحث بجدية واهتمام عن هذا المهندس، الذى لابد ان وراءه سرا غامضا، كما انه يعمل فى مصنع يهمها ان تعرف ما يدور فيه.

لم تضيع وقتا، أرسلت برقية عاجلة إلى موسكو تستعلم فيها عن مهندس كهربائى مقيم فى كندا ويعمل فى مصنع للكيماويات يحمل ايم فريدريك هينزيش ، وإن كانت تظن أن الاسم ليس حقيقيًا وأن وراءه سرًا لابد من معرفته.

بعد بضعة أسابيع لم تطل كثيرا .. ووصل إلى إيلين تقرير شامل وافٍ عن هذا المهندس الغامض الذى كان لحظه التعس بداية الطريق الذى شقته «إيلين» نحو العنف، وكان طريقًا ملطخًا بالدماء حقًا .

جمعت إيلين معلوماتها عن المهندس فريدريك .. عرفت بعد مجهود شاق أن سكرتيرته حامل منه .. إذ كان يزورها بين الحين والآخر فى بيتها المتواضع، وكانت زوجة فريدريك تعرف كل ذلك.

تحدثت مع إيلين بشأنه.. فنصحتها أن تغير تسريحة شعرها

وتغير العطر الذى تضعه، فأقبل عليها زوجها بالفعل.

توثقت العلاقة بين جروترود وإيلين .. ولذلك كان طبيعياً أن تدعوها إلى العشاء .

اصطحبت إيلين فرناندو معها ، وقبل أن تذهب إلى العشاء جاءها التقرير من موسكو يقول إن فريدريك هينرتش اسم مستعار، وأن الاسم الحقيقى هو «هانز فولر» .

وجاء بالتقرير أن أبوه كان ضابطاً نازياً ، اشتهر بقسوته البالغة فى معاملة أسرى الحرب العالمية الثانية ، وقبل نهاية الحرب بقليل اختفى الأب دون أن يعرف سر اختفائه، واستطاع الابن بعد فترة وجيزة أن يهرب إلى ألمانيا الغربية، ثم يذوب بعد ذلك تماما دون أن يعرف أحد عنه شيئا.

الاعتراف السهل

أحست إيلين بعد أن قرأت التقرير أنها تقبض على عنق المهندس الألماني التعس الحظ، فهى تستطيع أن تهدده بفضح علاقته بسكرتيرته التى تحاول إجراء عملية إجهاض من الواضح أنها لن تتم ، وإذا كان التقرير القادم من موسكو يقول:

- إن تهمًا من أى نوع لم توجه للفتى الذى كان صغير السن عندما وضعت الحرب أوزارها.

فلماذا غير اسمه؟

هل يخشى من ملاحقة أجهزة المخابرات إذا ما عرفوا أنه ابن رجل مطلوب القبض عليه ومحاكمته كمجرم حرب؟

أم أن فى الأمر سرا آخر عليها أن تكتشفه ؟

بعد العشاء طلب فريدريك من إيلين التى لم يرتح لها كثيرا أن يعمل معه فرناندو فى المصنع.

اعتبرت إيلين ذلك نصرا .. فسوف تعلم من فرناندو وكل ما يحدث فى المصنع دون حاجة إلى تجنيد المهندس الألمانى نفسه .. لكن ما حدث كان غير ما خططت له إيلين .. إذ جاءت إليها الأوامر

أن تجند فريدريك بالاتصال البارد (أى أن تعرض عليه أن يكون جاسوسًا بشكل مباشر).

كانت إيلين ترى بخبرة جاسوسة تعيش على أرض الواقع أنه لا داعى لتجنيده فهو نازى يشعر بتفوقه على الآخرين .. ولن يقبل أن يأمره أحد.

كما أنه يشعر بانتماء حقيقى إلى كندا .. الوطن الذى منحه الأمان والدفء .

بدأت لعبة القط والفأر .. كان فريدريك قد أيقن أن إيلين فتاة ذكية ..

طلب من زوجته أن تدعوها للعشاء .. لكنها رفضت فاتصل بها بنفسه لتبدأ أولى خطوات الإيقاع به. ودار بينهما الحوار عبر التليفون .

فريدريك :

ـ أريد جوابًا صريحًا معى آنسة «إيلين» .. لماذا ترفضين كل دعوة نوجهها إليك ؟

إيلين :

ـ لأنى كنت على يقين من أن كل دعوة كانت تأتينى من

«جروترود» كنت أنت تقف وراءها.

فريدريك :

ـ ما الذى يدفعك إلى مثل هذا القول؟

إيلين :

ـ تصرفاتك.

فريدريك:

ـ تصرفاتى ..؟!

وأردف :

ـ وماذا إذا كان الأمر كذلك ؟

إيلين:

ـ إذا كان الأمر كذلك .. فلم لا تفعله أنت ؟ .. ثم لا تنس «هرهينرتش» أنى بريطانية تؤمن بالديمقراطية .

فريدريك :

ـ ما الذى يعينه قولك هذا ؟

إيلين :

ـ إن له معنى واحدا ومحددا.

فريدريك :

ـ هل لك أن توضحيه بعض الشىء .

إيلين :

ـ ببساطة هناك فرق بين الديمقراطية البريطانية والنازية الهتلرية .

فريدريك :

ـ ألم يصل إلى علمك يا سيدتى أن النازية اندحرت إلى الأبد ، وأن هتلر انتحر، وأن فى ألمانيا الآن ديمقراطية ربما علت الديمقراطية الإنجليزية .

إيلين :

ـ إن الشكل لا يخفى الحقيقة «هرهينرتش»

فريدريك :

ـ هل أفهم من هذا أنك تتهميننى بالنازية؟

إيلين:

ـ أنا لم أقل هذا .. بل ربما لم يخطر لى على بال!

فريدريك :

ـ كيف وأنت تقارنين بين هتلر وديمقراطية تشرشل !

إيلين :

ـ ربما كان هذا ناتجأ عن إحساس غامض أحسست به فى لقائى الوحيد بك .

فريدريك :

ـ وما هو هذا الإحساس .

وأضاف :

ـ أريد إيضاحا من فضلك .

إيلين :

ـ إن بقايا من نازية هتلر لا تزال عالقة بثيابك !

عرفت إيلين من هذه المكالمة كل ما أرادت .. فقد اعترف فريدريك بأنه ألمانى دون أن يدرى.

تشـريح جثة نازى

ويكمل عادل حمودة :

لبت إيلين دعوته وذهبت هى وفرناندو معه هـو وزوجتـه فـى رحلـة صيـد بريـة ، عرفـت خلالهـا أن فـريدريـك معجـب بـالأنثى فيها، وعرفت كذلك انــه يعمـل فـى مشـروع سـرى للغايـة لا يملـك البوح به .

دخلت معه فى حوارات دامية انتهت بأن ذهب إليـها فـى بيتـها ليعرف منها ماذا تـريد ؟

قبل أن يذهب إليـها كـانت إيلـين قـد زرعـت فـى بيتـه خادمـة جندتها .. وكانت الخادمة واسمها «فريش» مستعدة للقيام بالقتل فى أية لحظة فور أن تتلقى الأوامر.

قالت لها إيلين :

ـ إذا ضرب التليفون مرة واحدة.. ثم مرتين فنفذى الأمر ..

كانت إيلين تخشى أن يرفض فريدريك عرضها .. فيبلـغ عنـها السلطات لتنهار بذلك شبكتها .

ذهب فريدريك إلى بيت إيلين الساعة السادسة ، كانت هذه هى المرة الأولى والأخيرة التى دخل فيها فريدريك إلى بيت إيلين .

نظر إليها ذلك الرجل الألمانى الصارم نظرة كانت تحمل إلى جانب الإعجاب الصارخ، ضعفا ووهنا لم يغيبا عن فطنة تلك الفتاة التى كانت تبتسم له ابتسامة من الصعب على من كان فى مثل حالته أن يقاوم !

لم تنتظر إيلين طويلاً .. خلعت القناع الذى يخفى شخصيتها الحقيقية ، وكانت موقنة أنها سوف تخوض معركة مخيفة، معركة يتوقف على نتيجتها حياته .

راحت ترمقه فى إمعان وكان وجهها شاحبًا شحوبًا عظيماً.

مضت إليه فى جرأة لتواجهه بكل أسلحتها .. أخبرته بتاريخه وأنه كان عضوا فى الشبيبة النازية وأنه أصبح أبا لطفل من سكرتيرته.

بدا فريدريك كمن يترنح تحت ضربات قاصمة، اكتشف هذا الرجل المتعجرف أن حياته لم يعد فيها سر، وأنه أصبح عاريًا تمامًا أمام تلك الفتاة المتوحشة التى كان قلبه لا يزال يخفق بإعجاب شديد نحوها.

أخذ يحملق فيها وهى ترشف من كأسها فى تلذذ المنتصر.. ثم عرضت عليه مباشرة، وفى صراحة تامة، أن يعمل معها لحساب الـ كى . جى . بى .

كان فريدريك يظن حتى هذه اللحظة أن إيلين بالفعل بريطانية، ولم يخطر بباله أنه يجلس إلى فتاة روسية تعلمت فى واحدة من أخطر مدارس الجاسوسية .

ولقد كانت إيلين مدركة هذا بطبيعية الحال، فهتفت به ـ وكأنها تدافع عن مذهب سياسى ـ ترفض التجارب السرية التى يجريها على الأسلحة الجديدة، لأنها تساعد فى إهلاك و تدمير الآخرين.

كان جواب فريدريك هو الرفض التام .. بل أوحى لها عندما قال: «ليس أمامى سوى طريق واحد» بأنه يهددها بفضح أمرها، فأصدرت الأوامر لفريش للتنفيذ.

عاد فريدريك إلى المنزل، وطلب من فريش كأساً فأعدتها له وأضافت إليها ثلاث نقاط من السم .. دخل مكتبه ليكتب تقريرًا عما قالته له إيلين، لكنه لم يكمله، فقد مات بعد أقل من عشرين ثانية .

فى الصباح وجدت جروترود زوجها ميتا فاتصلت بإيلين

صديقتها الوحيدة ..

وعندما جاءت كانت هى التى أصرت على تشريح الجثة لتعرف سبب الوفاة .. أو لتعرف وهذا هو الأقرب، هل السم الذى أعطاه لها فرناندو يترك أثرا أم لا ..

تم تشريح الجثة .. وجاء فى التقرير الطبى:

- إن السيد فريدريك هينريش توفى نتيجة إرهاق شديد فى العمل .

ويغلق هذا الملف تماما .

هى وفاسيليف

ذات مساء كانت إيلين تجلس فى مكتبها تراجع بعض الأوراق الخاصة بالبضائع .

دخل إلى المحل شاب فى حوالى الأربعين من عمره بصحبة سيدة فى حوالى الخامسة والثلاثين، كان واضحا من أسلوب تعاملهما أنهما زوجان انقضى على زواجهما سنوات، ولقد أدركت إيلين من النظرة الأولى أنهما من أصل روسى.

لم تندهش كثيرا عندما سمعتهما يتحدثان بالروسية، كانا

يتجادلان حول نوعين من الملابس ، لم تكن العاملة التى تقوم على خدمتهما تفهم شيئاً مما كانا يقولان، توقفت صامتة فى انتظار أن يستقر رأيهما على صنف بعينه وهنا اقتربت منهما إيلين وتصنعت معهما حوارا .

لم يكن نوع الملابس الداخلية الذى تريده السيدة موجودا ، ولذلك وعدتهما بعد ثلاثة أيام بأنه سيصلها ما يريدان ، بدلا من أن ترسل عاملة ذهبت إيلين بنفسها إلى بيت الروسى وزوجته، عقدت الدهشة لسانى الرجل وزوجته ، بينما اعتذرت إيلين عن حضورها دون أن تخبرهما.

كان الزوج اسمه «فاسيليف ايفانوف» والزوجة «أنا إيفانوفنا».. فى هذه الليلة عرفت إيلين أن فاسيليف ولد فى كندا ، وأن أباه جاء إلى هذه الأرض وهو صبى صغير فى صحبة أبيه الذى استطاع الهرب بعد قيام الثورة البلشفية فى روسيا ، وأنه أصبح واحدًا من القلة الذين برعوا فى علم الإلكترونيات، بحيث أصبح مشرفاً فى إحدى الشركات العملاقة على قسم كامل كان يمد الطائرات والسفن ـ خاصة الحربية منها ـ بكل ما يستجد من اكتشافات فى هذا المجال الذى كان الاتحاد السوفييتى يسعى جاهدا لمعرفة كل شىء عنه فى الغرب.

كان فاسيليف بالنسبة لإيلين صيدا ثميناً إذن .. دعاها ذات يوم إلى حفل عشاء ..

قالت لها زوجته :

ــ إذا أردت أن تعيشى فى روسيا لا فى الاتحاد السوفييتى، فإن هذه فرصة لا تعوض.

كان جميع الحاضرين يتحدثون بالروسية، ولم يكن أحد منهم يعرف أو حتى يخطر بباله أن إيلين تعيش معهم لحظة بلحظة وأنها مثلهم روسية حتى النخاع .

وفى لحظة حاسمة انتحى فاسيليف برجل أشيب الشعر شكت إيلين أن يكون واحدا من رجال المخابرات الأمريكية أو الكندية، وأخذ يحدثه .

وسمعت إيلين الحديث كاملاً.

كان فاسيليف يقدم تقريرا للرجل عن ذلك المشروع الحيوى الذى كان يشارك فيه فى مصنع الإلكترونيات .

قال فاسيليف لصاحبه:

ـ إن المشروع يعتبر ثورة فى أجهزة الرصد، ذلك انه عبارة عن

جهاز يستطيع أن يرصد تحركات الجيوش أو المعدات على بعد مئات الأميال.

وكان هذا حلمًا من أحلام رجال الحرب فى الاتحاد السوفييتى والعلماء معاً.

اختار مصيره

انصرفت إيلين بعد أن قررت أن تجند فاسيليف .. وبعد أن فشلت مع فريدريك هينريش بالاتصال البارد، فقد كان فاسيليف أقل ذكاء ومقاومة من فريدريك.

وفى بيت إيلين الذى جاءه فاسيليف الذى وقع هو الآخر فى غرامها، دار حوار قاتل قالت له إيلين:

ـ ألم يراودك الحنين إلى الوطن؟

فرد عليها :

ـ أى وطن تقصدين؟!

فقالت:

ـ روسيا طبعاً.

فرد عليها :

- ولكنى ولدت فى الولايات المتحدة .

فقالت له:

- ورغم ذلك فأنت تتحدث الروسية فى حياتك الخاصة؟

شعرت إيلين بأن فاسيليف لن يتعاون معها بسهولة. سافرت إلى باريس لتقابل بعض رؤسائها وغطت الزيارة بحضورها لأحد بيوت الأزياء الباريسية الشهيرة ردا على طلب منها لتوزيع منتجات هذا البيت فى كندا.

أوحت إيلين لرؤسائها الذين قابلتهم أنها يمكن أن تخطف أحدا وترسله إلى روسيا.

وضعت إيلين الخطة: « إذا لم يستجب لها فاسيليف فسوف تخطفه وترسله إلى الـ كى . جى . بى » !! .

وساعدتها الظروف، ذلك أن السفينة الروسية«يالتا» كانت ترسو فى ذلك الوقت فى ميناء تورنتو الذى يطل على مياه بحيرة أونتاريو فى جنوب كندا، وما هى إلا أيام حتى كان كل شىء جاهزا للتنفيذ .

استعانت إيلين برجل من فريق الحماية كان يعمل فى الحوض الجاف بميناء مونتريال ، كان ضخم الجثة، مفتول العضلات، أحمر

الشعر، من أصل نيوزيلاندى قاسى الملامح، كان اسمه «جورج وات» وقد تعاونت معه «فريش» التى سبق لها أن قتلت فريدريك هينريش بالسم .

عرضت إيلين على فاسيليف أن يعمل معها .. لكنه رفض .. وأنهى كلامه معها قائلاً:

ـ أسف إيلين ليس أمامى سوى أن أبلغ السلطات .

كان جورج وات وفريش جاهزين لاستقبال الشحنة التى استغرقت يومين للوصول إلى ميناء بورت ألفريد.

وكانت السفينة يالتا قبل أن تصل إلى مصب سانت لورانس، قد أعلنت السلطات الكندية أن عطلاً قد حدث بإحدى الماكينات وأنها تطلب الإذن بالدخول إلى أقرب ميناء لإصلاح العطل الذى لم يستغرق إصلاحه أكثر من ثلاث ساعات.

بعدها أبحرت السفينة إلى عرض المحيط، وعلى ظهرها صندوق حمل إليها سرا وكان بداخله مهندس إلكترونى أصله روسى يدعى «فاسيليف إيفانوف» والذى ما إن فتح عينيه، وكان قد قطع رحلة شاقة ومرهقة حتى هتف:

ـ أين أنا؟

وطالعه على الفور وجه جميل لمرضة شقراء شديدة الشبه بإيلين والتى أجابت بالروسية:

ـ مرحبا بك فى وطنك أيها الرفيق فاسيليف.

الموظف الغلبان

التقطت إيلين «جون وايت» فى نادى النجمة الذهبية، لم يكن من الصعب عليها بعد أن عرفت منه كل شىء أن تبنى علاقة صداقة، كان هو فى أشد الحاجة إليها .

أن جون شاب فى الثلاثين من عمره ولد فى الولايات المتحدة لأب وأم كانا دائمى الخلاف ، حتى تم الطلاق بينهما وهو فى الخامسة من عمره.

انتقل جون إلى كندا مع أمه التى هاجرت إليها وتزوجت رجلاً كندياً من أصل نيوزيلاندى، حيث شب وتخرج فى الجامعة فى هدوء وبلا مشاكل تذكر .

وبعد التخرج التحق وكان فى الثالثة والعشرين من عمره بوزارة الخارجية الكندية فى وظيفة مكتبية عادية من تلك الوظائف التى لا تحتاج إلى مهارات خاصة.

احب جون فتاة تدعى أليس ماكنزى . لم تكن تهتم بـه وإن لم تغلق فى وجهه الباب، لأنه كان يمدها بالمال.

ولأن وظيفته لم تكن تمنحه مالاً وفيرا، فقد وقع فى قبضة إيلين التى كانت تمده بالمال لإرضاء أليس، وحتى يبوح اكثر وأكثر بما لديه من معلومات..

حتى إذا ما أحست إيلين أنها سيطرت عليه تماماً صارحته بأنه يتعامل مع المخابرات السوفييتية .. وافق وتورط لأنه كان فى حاجة للمال.

فجأة وفى ذروة التعامل بين جون وإيلين ، وجد جون مقتولاً بجوار بيته..

ولم يكن بعيدا على رجال التحقيق أن يعرفوا ما حدث، لقد وجدوا شريط تسجيل يحوى عددا من المكالمات التى تمت بين جون وإيلين بما يؤكد أنه كان يسجل أحاديثهما معاً تحوطاً لما قد تأتى به الأيام.

كانت فى بعض المكالمات تطلب اللقاء ، وكانت هناك أيضا مكالمات غامضة، غير أن مكالمة بالذات كانت الأخطر، كان جون يساومها فيها ويبدو أنه كان لديه معلومات مهمة. وقد عرف

رجال التحقيق ما كان يخبئه جون.

فقد عثروا بصعوبة فى حجرة مكتبه على مخبأ سرى خلف دولاب على آلة تصوير فوتوغرافية بالغة الصغر، وكان بداخلها فيلم يحوى وثائق كاملة لذلك المشروع الخاص ببحيرة أونتاريو، كما عثروا على نسخ من وثائق بالغة الأهمية خاصة بعلاقات كندا مع بعض الدول وكانت هناك مذكرات ودراسات ومحاضر اجتماعات.

وجد الرجال فى هذا الدولاب كمًا هائلاً من الوثائق السرية الخاصة بوزارة الخارجية، لكن المفاجأة الأكبر كانت تكمن فى شريط خاص بهذه الآلة الملحقة بالتليفون ، وكان أهم ما فى هذا الشريط عدد من المكالمات المسجلة بين إيلين وجون.

كان الأمر مذهلاً بكل المعانى، وكان معناه أن إيلين حصلت بالفعل على كل تلك الوثائق فيما عدا ذلك الفيلم الذى من اجله قتل جون وايت فى حادث سيارة .. فقد رفض .. ولم يكن لدى إيلين أى حل سوى القتل.

الكندى العاشق

ويضيف حمودة :

قبل أن تغسل إيلين يديها من دماء من قتلتهم وقعت فى حب ضابط شرطة كندى اسمه «ويليام كلارك» دخل محل الملابس الخاص بإيلين كى يشترى ملابس داخلية لأمة المقدمة على الزواج ولم يخرج إلا ومعه قلب إيلين.

أرسلت إلى رؤسائها فى موسكو بكل ما تحسه من مشاعر تجاهه، ولم تخف الأمر عنهم .. قالت لهم فى صراحة مدهشة أنها تحبه. لم يرفضوا، فلقد كان الشاب صيدا ثميتا بحق.

كان ثمة معلومات يريدون الحصول عليها بشدة، خاصة تلك المعلومات التى عز على السوفييت الحصول عليها عندما لجأ إيجور جوزينكو، كاتب الشفرة فى السفارة السوفييتية فى أوتاوا إلى الحكومة الكندية، وكان هذا قبل وصول إيلين بعام وبعض العام.

لم يكن صعباً على إيلين أن تعرف الحقيقة كاملة من صديقها ضابط الشرطة وفى زمن قياسى، ليس فقط لأن كلارك كان ضمن

المجموعة التى عملت على حماية كاتب الشفرة بعد لجوئه إلى السلطات الكندية، ولكن لأن مركزه كان يتيح له معرفة الكثير من الأسرار التى كان يثرثر بها فى المساء مع حبيبته إيلين بعد عناء يوم شاق.

طلب كلارك الزواج من إيلين فوافقت على الفور.. لكن حدث ما لم يكن فى حسبانها .

كانت ليلة دعاها فيها لتناول العشاء فى أحد النوادى الراقية، كانا فى غمرة حبهما قد أحسا أنه قد آن الأوان لأن يعيشا شبابهما، فهى من ناحيتها تحملت المسئولية مبكرا، كما أنه كرجل شرطة له وظيفة ذات طابع خاص كى يتحفظ فى سهراته.

اندمجت إيلين فى الرقص .. أدت رقصة قوقازية أبدعت فيها.. بعد الرقص كانت تلهث وتتصبب عرقاً وهى تستند إلى صدر حبيبها كلارك الذى صحبها إلى المائدة وسط إعجاب الحاضرين جميعاً.

كان الشاب ممتلئاً حباً وامتناناً وإعجاباً لأن الأقدار أوقعته فى مثل هذه الفتاة الرائعة.. حتى إذا ما جلسا إلى المائدة هتف مداعباً إياها:

ـ هل أنت موقنة من أنك بريطانية ولست قوقازية أيتها الساحرة؟

قالت وهى تجاهد لإخفاء اضطرابها :

ـ ما الذى دفعك إلى مثل هذا القول؟

حاول ضابط الشرطة أن يجيب على سؤالها ولم يكن هناك ما يمكن قوله، هز كتفيه فى لامبالاة بما يعنى أنه لم يقصد شيئا بالتحديد.

تظاهرت إيلين بأنها تناست الأمر، لكنها بعد تلك الليلة لم تعد إيلين التى تعرف عليها وأحبها وعاش معها طوال شهور لم يعش أسعد منها.

كان الرجال فى موسكو قد اتخذوا قرارًا بالموافقة على زواج إيلين من كلارك، غير أنه قبل أن يرسلوا إليها بالموافقة وصلهم منها تقرير تحكى فيه كل ما حدث فى تلك الليلة.

وكان السؤال الذى ألقاه كلارك دون قصد سبباً فى إعادة الحسابات مرة أخرى، إذ جاء القرار فى موسكو قاطعاً وحاسماً:

ـ تخلصى من كل شىء قبل انقضاء أربعة أسابيع.

وكان معنى ذلك أن تبيع إيلين البيت والمحل والسيارة وكان معناه أيضاً أن تركب الطائرة فى طريق العودة إلى موسكو ولقد فعلت.

باعت كل شىء دون أن يدرى مخلوق أو يشعر حتى أقرب الناس إليها، وقبل أن يتسلم المشترون المحل والبيت كانت قد اختفت تماماً!

كتب صدرت للمؤلف عن دار أطلس

- حراس الهيكل .. عمليات الموساد الخارجية فى نصف قرن ـ الجزء الأول : الخطف .
- حراس الهيكل .. عمليات الموساد الخارجية فى نصف قرن ـ الجزء الثانى : الاغتيالات
- حراس الهيكل .. عمليات الموساد الخارجية فى نصف قرن ـ الجزء الثالث : الفضائح .
- رصاصة الرحمة .. اللحظات الأخيرة فى حياة الجواسيس .
- قصتى مع الموساد .. مذكرات جاسوس الإسكندرية .
- الملازم أول دينا عمر .. جندها زوجها فجندت أولادها الثلاثة .
- البكاء الصامت : دراسة سيكولوجية عن دموع العظماء .
- جاسوسات عاشقات .. خلدهن الحب وحقرهن التاريخ (سلسلة من ٢٠ جزء) .



تتشرف أطلس للنشر والإنتاج الإعلامى بتلقى أى
أراء أو تعليقات على الكتاب سواء للدار أو للكاتب على :

تليفون : ٣٤٦٥٨٥٠ ـ ٣٠٢٧٩٦٥ (٢٠٢) فاكس : ٣٠٢٨٣٢٨

E-mail: atlas@innovations-co.com